ISSN 2800-1133
EISSN 2830-8352

البحث عن مقاربة نظرية تكاملية للممارسات الاتصالية الوسيطية الرقمية الاستخدام والتملك نموذجا

The search for an integrative theoretical approach to digital mediated communication practices, use and ownership as a model

أمينة بصافة [1،*]

[1] كلية علوم الإعلام والاتصال جامعة الجزائر3 (الجزائر

bessafa.amina@univ-alger3.dz

تاريخ الإستلام: 2022/06/06 **تاريخ القبول: 2022/06/26**

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى البحث عن مقاربة نظرية تكاملية للممارسات الاتصالية الوسيطية الرقمية، خاصة وأن هذه الوسائط أحدثت نقلة نوعية في هذه الممارسات التي تحتاج إلى دراسة من طرف الباحثين والذين انقسموا إلى تيارين تيار يسقط النظريات الإتصالية الكلاسيكية المعروفة، وتيار يسعى إلى التجديد والابتكار من منطلق معرفي نقدي كمقاربة الاستخدام والتملك والتفاعلية اللسانية، أين تعزز الاتصال الوسيطي.

وعليه سنركز في هذه الورقة البحثية على مناقشة مقاربتين رئيسيتين تمثلتا في مقاربة الاستخدام ومقاربة التملك، وسنحاول اقتراح عرض مقاربات نظرية جديدة تم اختبارها في الوسط الأكاديمي الأنجلوساكسوني لدراسة الاتصال الوسيطي في البيئة الرقمية

الكلمات المفتاحية: الاتصال الوسيطي؛ الاستخدام؛ التملك؛ البيئة الرقمية؛ النظرية.

* المؤلف المرسل

***

Abstract:

This study seeks to search for an integrative theoretical approach to digital mediated communicative practices, especially since these media have made a qualitative leap in these practices that need to be studied by researchers who have been divided into two streams, a stream that drops classical communicative theories, and a stream that seeks renewal and innovation from a critical epistemological standpoint

Accordingly, in this paper we will focus on discussing two main approaches represented in the use approach and the ownership approach, and we will try to suggest new theoretical approaches.

Keywords: mediated communication; the use; possession; digital environment; the theory.

مقدمة

يعتبر الاتصال الوسيطي ذلك الاتصال الذي يتم عن بعد وفي نفس الوقت يقع بين الاتصال الوجاهي (وجها لوجه) والاتصال الجماهيري، والذي أصبح يمثل حقيقة الحياة في ظل الاستخدام المتزايد لوسائط الاتصال الجديدة حيث توسطت الآلة الاتصال بين شخصين أو أكثر سواء من خلال المحادثات المرئية الالكترونية الخاصة التي تعكس الايماءات وتعبيرات الوجه أو المنشورات والتعليقات التي تسمح تسهل المشاركة وفهم وإنشاء أرضية مشتركة بين الأفراد مما أنتج ما يعرف لدى بعض الباحثين الأنسوب أي الانسان الذي يتواصل عبر الحاسوب، فهو ليس مجرد نقل للنص الرقمي أو الصور التفصيلية بصريًا، ويمتد إلى ما وراء شاشة الجهاز لتحويل التفاعلات الاجتماعية والثقافية من خلال التحديد المستمر وإعادة تعريف هويات المجتمعات الرقمية وعلاقاتها والقواسم المشتركة بينها، ويتم في لبيئة لرقمية وبالأخص يحدد مجاله في مواقع شبكات التواصل الاجتماعي التي تدعمه.

وفي المقابل يعتبر موضوع الشبكات الاجتماعية هو ديناميكي، انتشر بقوة في السنوات الأخيرة وخاصة في الوسط الأكاديمي نظرا لانتشار استخدامها الواسع من مختلف الفئات الاجتماعية، ولم يتم استخدام مفهومها بالمعنى المجازي، فهي تعبر عن علاقات بين الهياكل الاجتماعية وجدت قبلها، والتي تعتبر جزءًا من الميديا الاجتماعية، حيث يجمع مصطلح "الميديا الاجتماعية" تحت سقف واحد مجموعة واسعة من الأجهزة، مثل المدونات، والموسوعات الالكترونية (ويكيبديا)، مواقع شبكات التواصل الاجتماعي (الفيسبوك، لينكدين)، المدونات الصغيرة (تويتر) ووسائط تقاسم الموسيقى (Blip.fm، Las.fm)، ووسائط تبادل الصور (انستجرام)، وكذا وسائط نشر أشرطة الفيديو (يوتيوب)، فالقسم الأول "ميديا" يشمل جميع الأنواع من البرامج، وتم إضافة "الاجتماعية" باعتبارها برامج تسمح للمستخدمين بالحفاظ على الوجود، والتواصل والتفاعل عبر الشبكة، إضافة إلى تقديم الدعم وتوليد التبادل التفاعلي، وتسهيل التواصل بين الأفراد والجماعات، وتؤثر هذه الأجهزة على طبيعة التبادلات، كما أن كلمة "اجتماعي" اطلقت عليها لأنها تقوم باستدعاء أكبر عدد من المستخدمين ليتمثل دور المستخدم المنتج لمحتوى وسائل الإعلام، والتي يتفاعل معها مستخدمون آخرون من خلال الاختلاط والمناقشة كما يطلق عليها "الاجتماعية" لأن لها وجود يحمل في الأساس تدفق دائم من التفاعلات والتبادلات للمحتوى الذي تم إنشاؤه من قبل المستخدمين، والتي تتميز بالتداول المستمر للمعلومات والفعل الاتصالي (Proulx, 2011, p. 4)، وتعتبر هذه المواقع من أهم وسائط الميديا الاجتماعية بالنسبة للمستخدمين.

وعليه سنركز في هذه الورقة البحثية على مناقشة المقاربات النظرية للممارسات الاتصالية الوسيطية وسلطنا الضوء على مقاربتين رئيسيتين تمثلتا في مقاربة الاستخدام ومقاربة التملك التي تفسر والاتصال الناتج عن استخدام وسائط

الاتصال الجديدة، وسنحاول اقتراح عرض مقاربات نظرية جديدة تم اختبارها في الوسط الأكاديمي الأنجلوساكسوني لدراسة الاتصال الوسيطي في البيئة الرقمية، وهذا للإجابة عن السؤال الجوهري للاشكالية التي مفادها ما هي المقاربة النظرية التكاملية للممارسات الاتصالية الوسيطية الرقمية؟ والتي تولد الحاجة للبحث المستمر والتنظير المتواصل

I. المقاربة النظرية للممارسات الاتصالية الوسيطية الرقمية

هناك العديد من النظريات المختلفة للتواصل الوسيط والتي تهدف إلى شرح العلاقة بين المنح (الفائدة والمنفعة) للتكنولوجيات الوسيطة المختلفة والاتصال الناتج عن استخدام تلك التقنيات، إضافة إلى تحديد كيفية اختلاف التقنيات من حيث إمكانيات الاتصال الخاصة بها، ووصف كيف تختلف إمكانيات تكنولوجيا معينة عن تلك الخاصة بالتواصل وجهاً لوجه؛ وشرح كيف تنتج هذه المزايا المختلفة اختلافات بين التوسط وجهاً لوجه الاتصال في العملية أو المحتوى أو نتيجة الاتصال، ومن بين أهم النظريات نذكر ما يلي:

1.I – مقاربة الاستخدام

يبدو مفهوم الاستخدام من خلال النظرة العامة مفهوما واضحا بسيط المعنى غير ذي حاجة إلى جهد أو نشاط يتوخى ضبطه، غير أن أية محاولة تستهدف ضبط المعاني والدلالات النظرية والتطبيقية له تصطدم بمفهوم غامض ومتنوع، يحتمل الكثير من الدلالات المختلفة باختلاف ما هو اجتماعي وما هو تقني في تركيبة هذا الهجين الاتصالي-الأنترنت- في حد ذاته ...الغموض الذي يحيط باللفظ مرده إلى استعماله في تعيين وتقرير وتحليل مجموعة السلوكيات والمظاهر المرتبطة بمجموع ضبابية المعنى لتكنولوجيا الاتصال، فحسب كاترين ديستلر Katrien Dysstler ليست في المظهر التقني للآلة إنما هي في قواعد استعمالها وفي إرادة

الفاعلين على إدارة مشروع مشترك، أي أن مهمتنا هي البحث فيما إذا كان هنالك إلى جانب هذه المنشآت التكنولوجية التي نملك ثقافة تدرك قواعد استعمالها وإرادة قادرة على التحكم في إدارتها، ويعود تطور هذا التيار (سوسيولوجيا الاستخدام) إلى ميشال دو سارتو Michel De Certrau، ثم طوره سارج برولكس Serge Proulx.

فالعلاقة القائمة بين الإنسان والشبكة الافتراضية علاقة مركبة متداخلة يكاد يستحيل تواجدها خارج الممارسة المستمرة، هي التي تضمن الاستخدام باعتباره مقاربة نظرية كفعل اتصالي ذا معنى اجتماعي تقني، فقد ينصرف المعنى إلى الأداء التقني فيصبح معلقا على التحكم وإدارة النظم المختلفة لهذه التكنولوجيا، من تشغيل وإبحار على النسيج والقدرة على انتقاء المحتوى المتموقع خلف العقد والروابط، ثم القدرة على معالجته، تخزينا واسترجاعا أو إنتاج للمحتوى وكذا إعادة إنتاجه.

كما يمكن أن يعالج المفهوم كنشاط اجتماعي وثقافي، داخل المنظومة السلوكية السابقة الوجود، حينئذ لا يصبح الاستخدام مجرد فعل عابر منفصل عن التكوين النفسي والمادي لشخصية الفرد المستخدم، بل يتخذ شكل نماذج استخدامه الذي يتجلى أساسا في التكرار والاستمرار، ويحيلها إلى عادات متكاملة مع باقي ممارسات الحياة اليومية-للمستخدم-، بهدف فرضها ودمجها عمليا في إطار الموروثات الثقافية المسبقة، وقد تندمج فيها أو تتباين عنها، في مقابل ممارسات أخرى منافسة أو متصلة به (Proulx, 2011, p. 18).

ويحيط بالمفهوم الدقيق لمصطلح الاستخدام الكثير من الغموض، فبعض البحوث تتحدث عن "الاستخدامات الاجتماعية" الممارسات التي تتهيكل خلال الزمن، وأحيانا تتحدث عن "الاستخدامات الاجتماعية" بدءًا من اللحظة التي تظهر

"كنماذج للاستخدام" Modes d'usage التي تتأكد من خلال التكرار الكافي على شكل عادات مدمجة في سياق الحياة اليومية، لتشكل ممارسات نوعية أو أنها تفرض ضمن الممارسات الثقافية السابقة الوجود، ويقوم الاستخدام على حتميتين:

أ-الحتمية التكنولوجية: يعتقد أصحاب هذا الاتجاه كثيرا في قوة وإمكانيات وسائل الإعلام التي يستخدمها الأفراد أو المجتمعات وقدرتها على إحداث تغيرات جوهرية وعميقة ثقافية واجتماعية شاملة، فالمجتمعات تعيد تكييف أنظمتها وطرقها في العيش بناءًا على المخترعات الجديدة، ولذا تمركزت إشكاليات البحث حول ما تفعله هذه الوسائل بمستخدميها؟

ب-الحتمية الاجتماعية: وعلى العكس من التوجه الأول، يرد أنصار الحتميات الاجتماعية مختلف أوجه التغير الاجتماعي والثقافي في المجتمع إلى القوى والبنى الاجتماعية لما تتمتع به من سلطة توجيه وتحكم، وهي بما تزود به الأفراد والمؤسسات الاجتماعية من معايير الاختيار والتمييز والمفاضلة متمثلة في منظومة القيم الدينية والاجتماعية تجعل المساءلة البحثية عن تأثير وسائل الإعلام يبدأ من ما يفعله الأفراد بوسائلهم؟ وفي الجهة الأخرى لا تنظر بعض المدارس إلى موضوع الحتميات بعين الرضى، فهي لا تؤمن بأن ما هو تقني ويتمتع بديناميكية قوية يوجد في حالته الكاملة والنهائية، كما أن البنى الاجتماعية ليست منتهية البناء (بوخنوفة، 2007، صفحة 48).

ويعتبر الاستخدام فعلا ابداعيا يقوم به الأشخاص العاديون، وهذا الابداع متلبد في تشابك الحيل الصامتة واللبقة والناجعة والتي بفضلها يبتدع كل شخص طريقته للسير في غابات المحتويات المفروضة، فمثلا حقيقة لا يوجد نص مفروض

في مواقع الشبكات الاجتماعية، لكن ما سبق قوله يؤكد أنه لا يجب أن نهتم بمحتويات الخطابات التي تبثها، بل يجب التركيز على عمليات استخدامها وتوظيفها، فهناك فرق بين الاستخدام والاستهلاك، وقد تم تشبيه الاستخدام بالأداء Performance الذي يختلف عن الكفاءة (ميشال، 2013، صفحة 33) كما يؤكد ذلك اللسانيون أن الكفاءة هي مجمل ما يعرضه موقع الشبكات الاجتماعية أما الأداء فهو ما يهتم بالمشترك في الموقع ويستخدمه في يومياته.

فالمستخدم قد لا يهتم بكل ما يبث أو ينشر، وقد لا يفهم من المواد التي يهتم بها، لأنه ينقل ما نشر في الموقع الافتراضي إلى سياقه الثقافي وتجربته الاجتماعية والعاطفية ووفقا لمستواه التعليمي وانشغاله المهني.

وعند الحديث عن الاستخدام، فإننا بصدد الحديث عن نماذج تطبع عملية الاتصال الجديدة تنبثق من العلاقة القائمة بين الإنسان المستخدم وأدوات الاتصال الجديدة، يصطلح عليها "بالاستخدام"، ومن هنا كانت الاستعانة المفاهيمية بالوصف التقليدي (تلقي/إرسال) المستدل بهما على طبيعة العلاقة مع وسائل الإعلام التقليدية، لاعتبار أنهما مفهومان مشحونان بمعاني ومفاهيم نظرية ومعرفية تستجيب فلسفيا وعمليا، إلى طبيعة العلاقة المتبادلة بين أقطاب تلك التجربة الاتصالية، وبالتالي فإنهما يعانيان بعض القصور الدلالي في التعبير، عن عمق التجربة وحدود السلوك الجديد مع تكنولوجيا الاتصال، التي لا تتوقف عند حدود المشاهدة أو الاستماع أو القراءة، بل يتعداه إلى المشاركة والتفاعلية والتبادلية، الأمر الذي يفرض انتقالا مفاهيميا نحو مصطلح الاستخدام كدال على تجربة اتصال مغايرة لما سبقها، تتأسس من حيث المبدأ النظري على قاعدة متكاملة النسق البنيوي والوظيفي تشمل معاني:

1. **الانتقال:** من النماذج التقليدية التي طبعت عمليات الاتصال الجماهيري، إلى نموذج مختلف يرتكز على تكنولوجيا الإعلام والاتصال التي خرقت شروط الاتصال الجماهيري لتستبدله بنمط قائم على التفاعلية والبينية، كأساس للعلاقة القائمة بين الفاعلين، وعلى الشبكية كخاصية أساسية أيضا لنشر وتوزيع المحتوى والتواصل الجغرافي والثقافي على الصعيد العالمي (عبدلي، 2022).
2. **الاندماج والاحتواء:** فيما بين مختلف الوسائط الاتصالية التقليدية السابقة (المكتوبة والمسموعة والمرئية والشفاهية)، لتشكل مجتمعة دعائم وسيط اتصالي هجين، والذي يضيف إليها تقنيات وبنى خاصة تضفي عليه طابع التفرد والخصوصية، أما الاحتواء فيحيل سلوك الاستخدام الفردي أو الجمعي إلى سلوك هجين يحتمل أي فعل من أفعال الاتصال التقليدية، فقد يكون إرسال/استقبال، إنتاج/استهلاك إلى غيرها من نماذج الاستخدام الممكنة.

معنى هذا أنه لا يمكننا الحديث عن عملية اتصال بالمدلول الجماهيري، حيث الأعداد الغفيرة تتلقى نفس المحتوى من نفس المرسل في نفس الوقت، ففي حالة الاتصال الشبكي المرتكز على تكنولوجيا الاتصال يختلف الموقف الذي يقوم على مبدأ تفتيت العملية، فمستخدمون شتى يتعرضون ويستغلون محتويات شتى، من منتجين شتى، أي اللاجماهيرية واللامركزية في الإنتاج والاستهلاك، وطبعا في هذه العملية من الطبيعي أن يصعب الفصل والتمييز بين المرسل والمستقل، فالنقطة الثورية هنا: أن الفاعل هو مستقبل ومرسل في آن واحد، وهو نشط وفعال.

تستقى أولى معاني الاستخدام من الوضعية الفيزيائية له من حيث تركيبته والعناصر الداخلة فيه، حيث يتألف هذا الموقف من ثلاثة فضاءات:

أ- **فضاء الفاعلون:** نسمي فاعلون "Acteurs" أولئك الذين ينشئون فضاءات (مواقع واب، قوائم بريدية، شبكات اجتماعية ...) قابلة للاستخدام، وقد يكونون أفرادا (جمهور عام) أو مؤسسات اقتصادية اجتماعية.

ب- **فضاء الوسيلة:** وهي عبارة عن وسيط داخلي للتبادل (برمجيات، عملاء البحث الأذكياء..)، تنتج مواقف اتصال، (بين الوسيلة والمستخدم) تسمح باستظهار وامتلاك المحتوى من طرف الفاعلين.

ج- **فضاء المحتوى:** نسمي محتوى كل المادة الرمزية المعروضة على فضاء الوسيلة نصية، سمعية بصرية، والسؤال الذي يطرح بهذا الصدد هو كيف يتم الاستخدام؟ (عبدلي، 2022)

وترد في هذا السياق عدة مقاربات تحاول تفسير هذه العلاقة ومنها المقاربة التي قدمها جان لويس لوموان Jean-louis lemoigne عام 1998، حيث يؤكد على وجود أنظمة اتصال الكترونية، تتكون من ثلاثة أقطاب أساسية:

-القطب كل شيء يأتي من المركز: يتعرض الكل لنفس المحتوى في آن واحد، ويكون المرسلون على رأس الشبكة.

-القطب كل شيء محلي: وهو القطب الذي تسوده الخصوصية بمعنى أن أدوات الأفراد الخاصة بتخزين ومعالجة المعلومات تكون على رأس العملية.

-قطب الشبكة العامة المشتركة: يتباين ويختلف عن القطبين السابقين اللذان يتأسسان على نظام تتساوى فيما بين المركز والأطراف، حيث يوجد في هذه الحالة نظام تساوقي بين كل المستخدمين، مرسلون مستقبلون في آن واحد فهو يحتمل الوجهان معا.

وقدم دومنيك بويلي Dominique Boulier عام 1995 مقاربة تقنو اجتماعية، يقسم فيها أنواع الاستخدام إلى نوعين أساسين يندرج تحتهما أنواع فرعية: تقوم الفكرة الأساسية لهذه المقاربة على أن المستخدم أثناء استعماله لتكنولوجيا الإعلام والاتصال، فان سلوكه هذا يتخذ إما حركة انطوائية، أو حركة انفتاحية (عبدلي، 2022).

1. **الاستخدام الانطوائي USAGE PLIER:** يعني أن حركة المستخدم تكون ثنائية البعد بينه وبين الجهاز فقط دون أن تتعدى إلى مشاركات ومساهمات أوسع تأخذ طابعا تفاعليا، إما مع مستخدمين آخرين أو التفاعل مع البرمجيات ذاتها تعديلا أو إضافة أو تدميرا، وأبسط معنى للانطواء هنا هو العزلة أو الانقطاع عن الباقي (المستخدمين) حيث يكتفي المستخدم بعلاقة ثنائية مع حاسوبه فقط، وتقوم هذه العلاقة على العديد من العمليات الذهنية التي تحدد نوع الترابط بينها، أهمها علاقة استعداد للنقل ويكون بين التصورات الذهنية الداخلية للمستخدم أولا ثم الآليات المادية لتنفيذ هذه التصورات، وبين الفضاء الرمزي والمادي الذي تكون عليه الوسيلة وتتخذ هذه الحركة (الانطوائية) الأشكال الآتية:

أ- **انطواء آلي:** متحول وغير انعكاسي، وهي ممارسة عادية ممكنة في حق الكل يمكن القيام بها في جميع الأحوال مثل استخدام نوافذ الواب، ويقوم المستخدم في هذه الحالة بعملية تبادل روتيني مع الحاسوب وفق نموذج مصنع ومعد مسبقا.

ب- **انطواء اعتيادي:** وهي ممارسة شخصية اعتيادية تنطبع بطابع استخدام الفرد لحاسوبه، مثل طريقة حفظ الملفات، تحريك الفأرة.

ج- **انطواء انتهازي:** وهي حركة تظهر فقط مع الفرص السانحة للخروج من الإطار المحدد والذهاب أبعد من ذلك، مثل تتبع أثر محاولات الاختراق.

2. **استخدام انفتاحي usage déplie:** وتعني بناء علاقة ثلاثية الأقطاب بين:

الفاعلون ACTEURES، الحاسوب الموصول بالأنترنت والمحتوى، الفاعلون، تتخذ هذه الحركة بدورها الأشكال الآتية:

أ- **حركة انفتاحية مع التميز:** ومثالها المساعدة والتي تعني بالنسبة للمستخدم إظهار وتوضيح كفاءته الحقيقية من خلال التعبير عن بيئته في المعاني والرموز(الأيقونات) التي يفضلونها، أو العكس بالنسبة لمن يقدم مساعدة للمبتدئين وفق طريقة تظهر تفوقه وتميزه.

ب- **حركة انفتاحية مع التقليد:** وهي عكس السابقة تقريبا، حيث يكون المستخدم في وضع تفاعلي تشاركي مع آخرين -دون أن يتميز عنهم – في بعض التقنيات مثل الطرق الكفيلة بإنجاز رسالة إلكترونية.

ج- **انفتاح مع الحوار والتواصل:** مثل المشاركة أو الدخول في محادثة مباشرة (عبدلي، 2022).

I. 2 – مقاربة التملك

تتعدد معاني هذا المفهوم وتتداخل بتداخل وتباين الحقول المعرفية الدارسة له، وغالبا يرتبط بالاستخدام والممارسة ارتباطا وثيقا حيث يشير إلى "التحكم في الأداة أو الوسيلة وهو الغاية النهائية للعملية، وكذا الإدماج الابتكاري لعناصر الثقافة الرقمية في الحياة اليومية للمستخدمين الأفراد والجماعات"، وفي علم النفس يعرف التملك بأنه الفعل الذي يقوم به الفاعل من أجل أن يجلب لنفسه أو ذاته شيئا ما أو إدماج شيئا ما في الحياة اليومية، ويرتكز الاستخدام الاجتماعي لوسائل الاتصال على نموذج تملك، ومهما تكن طبيعة الاستخدام فإن التملك يبنى في إطار العلاقة مع وسيلة الاتصال، بينما يعكس الاستخدام في عمقه بعدا معرفيا وإجرائيا، يحمل في بنيته رهان عمليات اكتساب المعارف (اكتشاف منطق وظائف الأداة) والمهارات (تعلم الرموز وكيفيات تشغيل الأداة) (ميشال، 2013، صفحة 34) ، ولهذا السبب يعتبر برولكس وميلروند أن الأمر يتعلق بالطريقة التي من خلالها يكتسب الفرد ويتحكم ويحول، الرموز والبروتوكولات، والمعارف والمهارات الضرورية للتوافق مع الحاسبات، ويرى برولكس أن التملك ينبغي أن تتوفر له مجموعة من الشروط الأساسية: حد أدنى من التحكم maîtrise الإدراكي المعرفي والتقني في الأداة أو التقنية إدماج integration اجتماعي ذو دلالة أو معنى لهذه التكنولوجيا في الحياة اليومية لهذا الفرد (Serge, 2005, p. 7) ويؤدي إلى ظهور شيء جديد في حياة المستخدم، ويرتبط به عدة قضايا تشكل لوازمه الأساسية:

- **التملك والهوية والإبداع:** تشير الهوية إلى تعرف المستخدم على نفسه في التكنولوجيا التي يستخدمها ولذلك من الضروري أن يشارك في ابتكار هذه التكنولوجيا أو على الأقل تسمح له هذه الأخيرة بالمساهمة بلمسة ابتكارية،

فالتملك مرتبط بتأكيد الذات أو الهوية ويندرج في ثقافة معينة، ويفترض تجنيد معارف عملية ومعارف مسبقة ذلك لأننا لا نتملك إلا ما نستطيع التعرف على أنفسنا فيه وأيضا ما نستطيع أن نحوله ونجعله شبيها لما نحن عليه، ولهذا السبب يرتبط التملك بالمكون الإبداعي.

- **التملك والمعارف:** يرتبط تملك شيء ما بمعرفتنا عنه، فالمسعى الفردي له يرتبط حول اكتساب الفرد للمعارف والكفاءات، ويتعلق الأمر بالطريقة التي يكتسب من خلالها ويتحكم ويترجم الرموز والمعارف العملية الضرورية من أجل التعامل مع التكنولوجيات الجديدة بشكل صحيح.

- **التملك والتحفيز:** يلعب المشروع الشخصي الذي يحمله كل فرد إزاء التكنولوجيات دورا أساسيا في صيرورة التملك، حيث أن مشروع الاستخدام يحدد بصورة معتبرة التمثلات إزاء الشيء واستخدامه (عبدلي، 2022).

II- مقاربات دراسة ممارسات الاتصال الوسيطي بين التجديد والابتكار

الاتصال الوسيطي)ليس مجرد نقل للنص الرقمي أو صور مفصلة بصريا فهو يمتد إلى ما وراء شاشة الجهاز لتحويل المظهر الاجتماعي والتفاعلات الثقافية من خلال التحديد المستمر وإعادة تعريف هويات المجتمعات الرقمية، والعلاقات والقواسم المشتركة بينهما، كما أنه يؤدي إلى العديد من التغييرات في الطريقة التي يقوم بها الأفراد بالتواصل مع بعضهم البعض، وهو ما أوجد نظريات مبتكرة تسعى لفهم هذه الممارسات في البيئة الرقمية القائمة على الاتصال الوسيطي، سنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

1.II –مقاربة الفعل الاجتماعي

رغم آلية هذه النظرية التي تربط بين المحتوى والوسيلة الإعلامية حيث أن وسائط الاتصال الجديدة يكمن مستقبلها في التطور التقني للوسائل المادية وفي ذكاء

مستخدميها الذين صاروا في جوهر العملية التواصلية فالمستخدم هو المرسل والمستقبل (المنتج والمستهلك للمحتوى الإعلامي) وطرف التفاعل.

ونظرية الفعل الاجتماعي تتقاطع مع بعض معالم مواقع شبكات التواصل الاجتماعية من حيث بنيتها العقلانية الوجدانية والقيمية وتفاعلها مع كل المتغيرات، فالفعل العقلاني للفرد يتجه نحو تحقيق هدف معين بوسيلة محددة ونفس الشيء بالنسبة إلى البنية البرمجية العقلانية للواب 0.2، فالفعل الإجتماعي قيمته تتحدد وفق إطار مثالي سواء بالنسبة إلى المستخدمين أو التوجهات الفكرية، وتحقيق التواصل عبر شبكة تجسد فكرة القرية الصغيرة (Stanley Miligram, 1967, p. 67) باعتبار أن كل فعل فردي اجتماعي ينتج سلوك اتصالي جديد.

5. نظرية جيل C: ويحدد خبراء مؤسسة "بوز أند كومباني"Booz & Company" ثلاث مقومات أساسية تميز الجيل الجديد "c" الصاعد والمتمثلة في كل من خاصية "الربط" "Connect"، "التواصل" "Communicate" "التغير""Change" وهو الجيل الذي أحدث تغييرا كبيرا في طبيعة التواصل الاجتماعي خلال المدونات والاجتماعات الافتراضية ومواقع شبكات التواصل الاجتماعي، وهو الأمر الذي جعل من الفعل التواصلي أكثر حرية وتفاعلية (بادوي، 2014، صفحة 5).

وتساعد هذه النظرية على دراسة تنامي أشكال التواصل الاجتماعي التي طرحت امكانية مشاركة المحتوى بين المستخدمين، والنظرية سميت هكذا نسبة إلى ثلاث مقومات أساسية تميزها وهي "الربط" "Connect" و"التواصل" "Communicate" و"التغيير" "Change"، وتتمثل خاصية "الربط" في ميزة الربط بين نقطة وأخرى والقدرة على إنشاء اتصال يتميز بالكفاءة وإتاحة الاتصال بين نقطة وأخرى أو بين جهاز وآخر أو مستخدم وآخر، أما خاصية "التواصل" وتمكن المستخدمين من

التواصل المستمر سواء عبر النص أو الصوت من خلال خدمات التواصل النصية (الكتابة) أو "الدردشة" "Chat" صوتا وصورة، وخاصية "التغيير" المتمثلة في القدرة على تغيير التواصل أو الملفات من الكتابة إلى الصوت أو العكس، إلا أن هذه المنظمة أهملت أهم خاصية لهذا الجيل وهي خاصية التفاعل "Interactivity " التي وفرتها شبكات التواصل الاجتماعي (بادوي، 2014، صفحة 6).

6. التنظير الذاتي لوسائط الاتصال الجديدة

إن شبكات التواصل الإجتماعي تشير إلى الطرق الجديدة في الاتصال بما يسمح للمجموعات الأصغر من المستخدمين بإمكانية الإلتقاء والتجمع وتبادل المنافع والمعلومات في بيئة تسمح لهم بإسماع صوتهم وصوت مجتمعاتهم إلى العالم أجمع، وهي أيضا "منظومة من الشبكات الإلكترونيّة التي تسمح للمشترك فيها بإنشاء موقع خاص به ومن ثم ربطه عن طريق نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الإهتمامات والهوايات نفسها وتحمل هذه المواقع في منظومتها النظرية مفهومين جديدين وهما ذاتية التنظير الإعلامي أي تفسر النظريات الإعلامية القائمة والبحوث الإمبريقية بعض الجوانب الجزئية في الإعلام والاتصال لكنها لا تتضمن أبعادا فكرية أو فلسفية واضحة وذلك لأن الإعلام والاتصال ظاهرة ذات أبعاد متعددة وتجلياتها قد تكون فكرية أكثر منها امبريقية وبذلك قد يختلف التنظير من باحث إلى آخر.

والمفهوم الثاني يتمثل في الإيحاء الإعلامي "Mediaspiration" وهي مؤثرات الإعلام أي أن بعضه يؤثر بطريقة معلومة نلتفت إليها والبعض الآخر يؤثر بطريقة غير معلومة عفوية وقد يختلف التأثير من شخص إلى آخر وفقا لمجموعة من القابليات كالبيئة ونوعية الثقافة التي يتبناها المجتمع أو الفرد وبعض المحاكاة النفسية وغيرها، ومن هذين المفهومين تظهر الوسائط الجديدة تمتع مشروعيتها من البرمجة

الموجهة والدوال الرياضية من خلال التكنولوجيا وتطبيقات الواب الداعمة لها، وكأنه تكامل ما بين المنهج والموضوع والآلة بحيث أعطت شبكات التواصل الإجتماعي مفهوما جديدا للتنظير الإعلامي وثقافة الواب ومبررها في ذلك أنها تأخذ لنفسها أنساقا مفهومية ونظرية في تمثلها للواقع وتفكيكه بطريقتها من خلال تعبيرها عن المخزونات العلمية، وبهذا نكون أمام شكل يضعنا وجها لوجه مع نظريات ذات صبغة خاصة تجد معانيها في التعدد بين الأنساق المعرفية والعلمية والشروط الجتماعية التي تحكم طبيعة التواصل الإنساني وقيمته الحقيقة (بادوي، 2014، صفحة 7)

نظرية إزالة التثبيط الاجتماعي

يجادل بأن البريد الإلكتروني له إمكانيات مختلفة من التواصل وجهًا لوجه، فهو غير متزامن، لذا لا يمكنه تقديم تفاعلي فوري ردود الفعل للمتحدثين حول ما إذا كان اتصالهم قد تم فهمه أو قبوله .البريد الإلكتروني يفعل ذلك أيضًا عدم تقديم معلومات غير لفظية مثل إيماءات الرأس والإيماءات وتعبيرات الوجه ومعلومات الوضع التي قيل إنها مهمة لنقل المعلومات الاجتماعية والعاطفية، وبحسب النظرية، فإن غياب التغذية الراجعة، وقلة التواصل الاجتماعي والمعلومات العاطفية لها تأثيران: (أ) تمنع العمليات الاجتماعية مثل تكوين الإجماع، ويؤدي إلى تعبير غير عاطفي بشكل أقوى في البريد الإلكتروني والهاتف والبريد الصوتي حيث ينقل معلومات لغوية بحتة ، بينما مواقع شبكات التواصل الاجتماعي فتتميز بالتفاعلية خاصة عبر كاميرا الويب والمراسلة الفورية والدردشة تفاعلية لأنها تدعم التزامن في اتصال ثنائي الاتجاه، مما يسمح للمشاركين بتقديم ملاحظات فورية للمتحدثين .في المقابل، البريد الإلكتروني والبريد الصوتي غير تفاعليين لأنهما لا يسمحان بمثل هذه التعليقات المتزامنة، وكذلك البريد المرئي، والذي يسمح للأشخاص بترك الرسائل التي تتضمن كل من الكلام والصور، والتقنيات غير التفاعلية هي بالضرورة دائمة، لأنه لا يتواجد مستلمو الرسالة عند إنشاء الرسالة.

في المقابل، يمكن أن تكون التفاعلية سريعة الزوال (مثل الهاتف) أو دائمة مثل المراسلة الفورية والدردشة. (Suler, 2004)

خاتمة

وفي ختام هذه الدراسة توصلنا إلى أنه توجد العديد من المقاربات والنظريات التي تدرس الاتصال الوسيط والتي تحتاج ان تجرب أمام غياب التنظير العربي، ومن بين النظريات المقترحة نظرية النطاق الترددي: عالجت كيفية تأثير الأنماط على الاتصال، واقترحت علاقة مباشرة بين الأوضاع التي تدعمها التكنولوجيا والاتصال الناتج عن استخدام تلك التكنولوجيا، وتفترض أن أقرب مجموعة من الأوضاع التي تدعمها تقنية تقريبية لتلك الخاصة بالاتصال وجهاً لوجه، فإن زيادة كفاءة الاتصال تزداد باستخدام تلك التكنولوجيا، لذلك يجب أن نتوقع أنه يجب أن تتفوق التكنولوجيا التي تدعم كلا الوضعين المرئي واللغوي على الأداء الوحيد الداعم للوضع اللغوي .

ونظرية التلميح المعرفي

وتناقش تأثيرات المعلومات المرئية على التواصل في المهام المعرفية فيما يتعلق بالعلاقات بين الوضع المرئي وسلوكيات الاتصال وظواهر الاتصال الأساسية، وتفترض هنا أن التقنيات التي لا توفر معلومات مرئية تعطل تبادل الأدوار

ونظرية التلميح الاجتماعي في التواصل الوسيطي:

ينصب التركيز على دور المعلومات المرئية في دعم انتقال العاطفة والمعلومات الشخصية، فضلا عن وظيفة التفاعل في تقديم التغذية الراجعة الاجتماعية. وتجادل بأن غياب المعلومات المرئية إلى يؤدي تغيير التعبير عن التأثير، ودوره في الاتصال.(Schneider, 2022) ، وعليه فالاتصال الوسيطي في البيئة الرقمية لا يمكن حصره في مقاربة واحدة وأمام هذا الكم من القاربات توصي هذه الدراسة بالتعمق فيها ودراستها والابتعاد عن النظريات الكلاسيكية التي لم تعد كافية لدراسة هذه الظواهر الاتصالية الجديدة.

الإحالات والمراجع:

Proulx, S. (2005). Penser les usages des technologies de l'information et de la communication aujourd'huit : enjeux – modèles – tendances . Bordeaux: Presses universitaires de Bordeaux.

Proulx, S. (2011). Mélanie Millette et Lorna Heaton, Médias sociaux : enjeux pour la communication. Québec: Presses de l'Université du Québec.

Schneider, S. (2022, 01 23). The Cognitive-Affective-Social Theory of Learning in digital Environments (CASTLE). Récupéré sur https://link.springer.com/article/10.1007/s10648-021-09626-5

Serge, P. (2005). Penser les usages des technologies de l'information et de la communication aujourd'huit . Bordeaux: Presses universitaires de Bordeaux.

Stanley Miligram, ,. (1967). Théorie du petit monde: le psychologue et sociologue. s.p: s.m.e.

Suler, J. (2004). The online disinhibition effect. w.c: Cyberpsychology & behavior.

أحمد عبدلي. (23 01, 2022). الاستخدام الاجتماعي لتكنولوجيا الاتصال الانترنت نموذجا: مقاربة نظرية . تم الاسترداد من http:// socio.montadarabi.com

بادوي ,م .ب .(2014) .الجزيرة والإعلام الجديد .قطر :مركز الجزيرة للدراسات.

دوسرتو ميشال. (2013). ابتكار الحياة الومية: فنون الأداء العملي. الجزائر: منشورات الاختلاف الدار العربية للعلوم ناشرون.

عبد الوهاب بوخنوفة. (2007). المدرسة، التلميذ والمعلم، وتكنولوجيا الإعلام والاتصال: التمثل والاستخدام. الجزائر: أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة عي علوم الإعلام والاتصال.